مصطلح المشكل عند اهل العلم

أ.م.د ألاء شوقي عبدالباقي

كلية تربية بنات قسم علوم القرآن

للعلماء آراء متباينة في تعريف المشكل، فقد عرفه الأصوليون بتعريفات مختلفة عن المحدثين والمفسرين، ومن هنا سنتطرق إلى تعريف المشكل عند كل علم، ثم نختار تعريفاً يشمل معناه في اصطلاح أهل العلم.

١-تعريف المشكل في اصطلاح الأصوليين:

قبل بيان تعريف المشكل عند الأصوليين، سنبين تقسيم الأصوليين للألفاظ باعتبار ظهور دلالته على معناه وخفائها، فقد قسموه إلى قسمين: واضح الدلالة، وخفي الدلالة.

وقد أختلف الأصوليون في هذا التقسيم إلى قولين:

القول الأول: قسم الأصوليون من الحنفية اللفظ من حيث وضوح الدلالة الى أربعة أقسام: ظاهر[١] ،ونص[٢]، ومفسر[٣]، ومحكم[٤]، وقسموه من حيث الخفاء إلى أربعة أقسام: خفي[٥]، ومشكل، ومجمل[٦]، ومتشابه[٧].[٨]

---

(١) الظاهر: يراد به(اسم لكل كلام ظهر المراد به للسامع بنفس السماع من غير تأمل، مثل قوله تعالى:(وَأحل الله البيع وَحرم الرِّبَا)ظاهره احلال البيع وتحريم الربا). أصول الشاشي:٦٨/١.

(٢) النص: يراد به(ما كان صريحًا في حكم من الأحكام، وإن كان اللفظ محتملا في غيره، مثل قوله تعالى:(وَأحل الله البيع وَحرم الرِّبَا)نص في التفرقة بين البيع والربا). العدة في اصول الفقه، القاضي ابو يعلى:١٣٨/١.

(٣) المفسر: يراد به(ما ازداد وضوحا على النص سواء كان بمعنى في النص أو بغيره، مثل قوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فإن الملائكة جمع عام محتمل للتخصيص، فأرتفع التخصيص بكلمة(كل)فصار مفسرا). كشف الأسرار شرح أصول البزدوي:٤٩/١.

(٤) المحكم: يراد به(هو ما ازداد قوة على المفسر بحيث لا يجوز خلافه أصلا، مثل قوله تعالى:(أَن الله بِكُل شَيْء عليم)). أصول الشاشي:٨٠/١.

(٥) الخفي: يراد به(ما اشتبه معناه وخفي مراده بعارض غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب، مثل النباش والطرار). كشف الأسرار شرح أصول البزدوي:٥٢/١.

القول الثاني: قسم الجمهور واضح الدلالة إلى الظاهر والنص [٩]، وخفي الدلالة إلى المجمل والمتشابه[١٠].

فالمشكل هو قسم من أقسام خفي الدلالة عند علماء الأصول من الحنفية، أما الجمهور فالمشكل عندهم هو المتشابه، فقد عرفه الشاطبي فقال:(المتشابه: ما أشكل معناه، ولم يبين مغزاه، سواء كان من المتشابه الحقيقي كالمجمل من الألفاظ وما يظهر من التشبيه، أو من المتشابه الإضافي، وهو ما يحتاج في بيان معناه الحقيقي إلى دليل خارجي)[١١].

وعرفه المناوي القاهري فقال:(المتشابه: المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل)[١٢].

أما ابن تيمية فقال:(ولهذا كان السلف (رضي الله عنهم) يسمون ما أشكل على بعض الناس حتى فهم منه غير المراد: متشابهاً)[١٣].

---

(٦) المجمل: يراد به(فهو ما لا ينبئ عن المراد بنفسه، ويحتاج إلى قرينة تفسره، مثل قوله تعالى: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فإنه مجمل في جنس الحق وفي قدره، ويحتاج إلى دليل يفسره ويبين معناه). العدة في أصول الفقه، القاضي ابو يعلى:١٤٢/١.

(٧) المتشابه: يراد به(المشتبه المحتمل الذي يحتاج في معرفة معناه إلى تأمل وتفكر وتدبر). العدة في أصول الفقه، القاضي ابو يعلى:١٥٢/١.

(٨) ينظر: أصول الشاشي، الشاشي:٦٨/١؛ أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله،السلمي:٤٠١/١.

(٩) أما الظاهر عند الجمهور فيراد به (اللفظ الذي يدل على معناه دلالة ظنية، والنص يراد به: اللفظ الذي يدل على معناه دلالة قطعية. فالظاهر عند الجمهور يشمل الظاهر والنص عند الحنفية، والنص عند الجمهور هو المفسر عند الحنفية). الانموذج في أصول الفقه، فاضل عبد الواحد:٢٣٠-٢٣١.

(١٠) أما المجمل عند الجمهور فيراد به(هو اللفظ الذي يدل على المعنى دلالة غير واضحة، والمتشابه: هو اللفظ الذي خفي المراد منه سواء كان بسبب الصيغة أم بسبب أمر عارض عليها، حيث ان هذا التقسيم يشمل الاقسام الاربعة عند الحنفية). الانموذج في أصول الفقه، فاضل عبد الواحد:٢٣٨.

(١١) الاعتصام، الشاطبي:٧٣٦/١.

(١٢) التوقيف على مهمات التعاريف،المناوي:٢٩٥/١.

(١٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية:٤٩٩/٨.

أما تعريف المشكل عند الأصوليين من الحنفية، فقد عرفه السرخسي فقال:(وهو اسم لما يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الاشكال)[١٤].

ويقول الشاشي :(المشكل هو ما ازداد خفاء على الخفي كأنه بعدما خفي على السامع حقيقة دخل في أشكاله وأمثاله حتى لا ينال المراد إلا بالطلب، ثم بالتأمل حتى يتميز عن أمثاله ونظيره في الأحكام)[١٥].

أما الاستاذ عبد الوهاب الخلاف فقد عرفه فقال:(هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، بل لابد من قرينة خارجية تبين ما يراد منه، وهذه القرينة في متناول البحث)[١٦].

ومن خلال هذه التعريفات يتضح أن المراد من المشكل أن يكون في أصل اللفظ الذي يحتمل الكثير من المعاني، إلا أنه بسبب الكثرة صار محتاجاً إلى الطلب، والتأمل أَي: التكلف والاجتهاد في الفكر ليتميز المعنى عن إشكاله.

٢- تعريف المشكل عند المحدثين:

لم يذكر المتقدمون من علماء الحديث تعريفاً واضحاً للمشكل، الا الإمام الطحاوي فقد ذكر في مقدمة كتابه(شرح مشكل الاثار)تفسيراً لبيان معنى المشكل فقال:(وإني نظرت في الآثار المروية عنه (ﷺ) بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو التثبت فيها والأمانة عليها ، وحسن الأداء لها ، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها ، والعلم بما فيها عن أكثر الناس فمال قلبي إلى تأملها وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها ومن استخراج الأحكام التي فيها ومن نفي الإحالات عنها)[١٧].

أما المتأخرون من علماء الحديث فقد استخلصوا تعريفاً واضحاً للمشكل من هذا التفسير الذي ذكره الامام الطحاوي ،فعرفه السماحي في كتابه (المنهج الحديث)فقال:(الحديث المشكل هو الحديث الصحيح أخرج في الكتب المعتبرة المشهورة، ولكنه عورض بقاطع من عقل، أو حس، أو علم، أو امر مقرر في الدين، ويمكن تخريجه على وجه التأويل)[١٨].

---

(١٤) أصول السرخسي:١٦٨/١.

(١٥) أصول الشاشي:٨١/١.

(١٦) علم أصول الفقه، عبد الوهاب الخلاف:١٧١/١.

(١٧) شرح مشكل الاثار،الطحاوي:٦/١.

(١٨) المنهج الحديث في علوم الحديث،السماحي:١٥٧.

أما الدكتور أسامة الخياط فعرفه بقوله:(مشكل الحديث: هو أحاديث مروية عن رسول الله (ﷺ)، بأسانيد مقبولة، يوهم ظاهرها معاني مستحيلة، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة)[١٩].

وعرفه الجوابي فقال:(الحديث المشكل: هو حديث صحيح بدأ معارضا بدليل مقبول، وقبل التأويل، أو كان مما لا يعلم تأويله)[٢٠].

ويقول علي العويشز:(وأما المشكل في اصطلاح أهل الحديث فيمكن تعريفه بأنه: الحديث الذي لم يظهر المراد منه لمعارضته مع دليل آخر صحيح)[٢١].

وقد ذكر الدكتور احمد القصير تعريفاً شاملاً لما ذكر فقال:(مشكل الحديث: هو الحديث المروي عن رسول الله (ﷺ) بسند مقبول، ويوهم ظاهره معارضة آية قرآنية، أو حديث آخر مثله، أو يوهم ظاهره معارضة معتبر من: إجماع، أو قياس، أو قاعدة شرعية كلية ثابتة، أو أصل لغوي، أو حقيقة علمية، أو حس، أو معقول)[٢٢].

ومن خلال ذلك يتبين ان هنالك علاقة بين مشكل الحديث ومختلفه وغريبه، فمختلف الحديث يراد به:(وجود حديثين متضادين في المعنى في الظاهر فيجمع أو يرجح أحدهما)[٢٣]، وغريب الحديث يراد به:(ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم لقلة استعمالها)[٢٤].

فالعلاقة بينهم علاقة عموم وخصوص، فالمشكل أعم من المختلف والغريب، حيث يتناول استشكال النصوص التي يطرأ عليها تعارض ظاهري بين آية وحديث، أو بين حديثين، أو غموضاً في دلالة لفظ الحديث على المعنى، فيكون مفتقراً إلى قرينة خارجية تزيل خفاءه.

٣-تعريف المشكل عند علماء التفسير وعلوم القرآن:

لم يتطرق علماء التفسير في مؤلفاتهم لتعريف مصطلح المشكل، ولكنهم تطرقوا للآيات التي أشكلت على المفسرين، فنجدها متناثرة في تفاسيرهم، ويلاحظ أن استخدامهم لمصطلح المشكل عام فهو

---

(١٩) مختلف الحديث، اسامة الخياط:٣٢.

(٢٠) جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي،الجوابي:٤١٤.

(٢١) مقدمات في علم مختلف الحديث،العويشز:٢.

(٢٢) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القران الكريم، احمد القصير:٢٣.

(٢٣) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، الحموي:١/٦٠.

(٢٤) التقريب والتيسير، النووي:١/٨٧.

كل إشكال يطرأ على الآية، سواء كان في اللفظ أم في المعنى، أم توهم تعارض، أم في الإعراب، أم في القراءات[٢٥].

أما كتب علوم القران، فنجد أن بعض العلماء أفردوا في كتبهم أبواباً خاصة في مشكل القرآن الكريم، وموهم الاختلاف فيه، ومن هؤلاء العلماء الزركشي حيث أفرد باباً سماه(معرفة موهم المختلف) وعرفه فقال:(وهو ما يوهم التعارض بين آياته وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف كما قال تعالى:ٌ **بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم**ً[٢٦] ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به فاحتيج لإزالته)[٢٧].

وتكلم عن المشكل في باب (معرفة المحكم من المتشابه)حيث قال:(والمتشابه مثل المشكل)[٢٨].

أما السيوطي فقد تكلم عن المشكل وأفرد له باباً خاصاً في كتابه الاتقان سماه(في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض)[٢٩]،كما أفرد باباً آخر في كتابه معترك الأقران سماه(ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات)[٣٠].

أما ابن عقيلة المكي فقد أفرد باباً خاصاً سماه(علم نصه ومشكله)[٣١] فعرف المشكل بقوله:(هو ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر)[٣٢]،ثم فرق بين المشكل وموهم الاختلاف الذي أفرد له باباً خاصاً سماه(علم ما اوهم التناقض والتعارض وليس بمتناقض ولا بمتعارض)[٣٣]،فقال بعد أن نقل كلام السيوطي الذي ذكرناه انفاً:(قلت: تقدم تعريف المشكل، وأنه هو الذي أشكل معناه فلم يتبين حتى بين، وليس هذا النوع من ذلك، بل هذا النوع آيات يعارض بعضها بعضا، وكلام الله تعالى منزه عن ذلك)[٣٤].

---

(٢٥) ينظر: مشكل القران الكريم، عبد الله المنصور:٥٤.

(٢٦) سورة النساء، جزء من الآية(٣٢).

(٢٧) البرهان في علوم القران، بدر الدين الزركشي:٤٥/٢.

(٢٨) المصدر نفسه:٦٩/٢.

(٢٩) الاتقان في علوم القران، السيوطي:٨٨/٣.

(٣٠) معترك الاقران في اعجاز القران، السيوطي:٧٣/١.

(٣١) الزيادة والاحسان في علوم القران، ابن عقيلة المكي:١٣٢/٥.

(٣٢) المصدر نفسه:١٣٤/٥.

(٣٣) المصدر السابق:١٩٦/٥.

(٣٤) المصدر السابق:١٩٦/٥.

وقد توصلنا من خلال آراء أهل العلم من الأصوليين الذين قالوا:(ان المشكل يكون في أصل اللفظ الذي يحتمل الكثير من المعاني، إلا أنه بسبب الكثرة صار محتاجاً إلى الطلب والتأمل)، والمحدثين الذين قالوا:(هو استشكال النصوص التي يطرأ عليها تعارض ظاهري بين اية وحديث، أو بين حديثين، أو غموضاً في دلالة لفظ الحديث على المعنى، فيكون مفتقرا إلى قرينة خارجية تزيل خفاءه)أما المشكل عند علماء التفسير وعلوم القرآن هو الأشمل والأعم لكل آراء الدارسين من الأصوليين والمحدثين، فهو يراد به الآيات القرآنية التي أشكل واشتبه لفظها أو معناها على المفسرين ولا يعرف هذا اللفظ أو المعنى الا بعد تأمل الآية وطلب معناها من دليل آخر.